وفاء النيل عند الجبرتي

لما قصر مد النيل في سنة ١١٠٦هـ وشرقت البلاد وكان القمح بستين نصفًا فضة الإردب فزاد سعره وبيع باثنتين وسبعين فضة نزل كجك محمد إلي بولاق وجلس بالتكية واحضر الأمناء ومنعهم من الزيادة عن الستين وخوفهم وحذرهم واجلس بالحملة اثنين من القابجية ويرسل حماره كل يومين أو ثلاثة مع الحمار يمشي به جهة الساحل ويرجع فيظنون ان كجك محمد ببولاق فلا يمكنهم زيادة في ثمن الغلة. كما ذكر أن بيع القمح في ذلك اليوم بمائة نصف فضة ولم يزل يزيد حتى بلغ ستمائة نصف فضة.

وفي عام ١١١٠ هـ توقف النيل عن الزيادة فضج الناس وابتهلوا بالدعاء وطلب الاستسقاء واجتمعوا على جبل الجيوشي وغيره من الأماكن المعروفة بإجابة الدعاء فاستجاب الله لهم في حادي عشر توت وشذ ذلك من النوازل فروى بعض البلاد وهبط سريعًا فحصل الغلاء وبلغ سعر الإردب القمح مائتين وأربعين فضة والفول كذلك والعدس مائتي نصف فضة والشعير مائة نصف فضة والأرز أربعمائة نصف فضة الإردب وبيع اللحم الضانى كل رطل بثلاثة أنصاف فضة والجاموسي والبقري بنصفي فضة والسمن القنطار بستمائة نصف فضة والزيت بثلاثمائة وخمسين والدجاجة بثمانية أنصاف.

وعلى هذا فقس والبيض كل ثلاث بيضات بنصف والرطل الشمع الدهن بثمانية أنصاف وكثر الشحاذون في الأزقة وفي سنة ثمان عشرة لم يأت من اليمن ولا من الهند مراكب فشح القماش الهندي وغلا البن حتى بلغ القنطار ألفين وسبعمائة وخمسين نصفًا وغلا الشاش فبيع الفرحات خان بأربعمائة نصف فضة والخنكاري بسبعمائة نصف.

وفي شهر شوال الموافق لكيهك القبطي ترادفت الأمطار وسالت الأودية حتى زاد بحر النيل بمقدار خمسة اذرع وتغير لونه لكثرة ممازجة الطفل للماء في الأودية واستمرت الأمطار تنزل وتسكب إلي غاية الشهر وكان ابتداؤها من غرة رمضان.

وفي صبحها يوم الجمعة رابع شهر رجب الفرد من عام ١١٩١هـ الموافق لرابع مسرى القبطي نودي بوفاء النيل ونزل الباشا صبح يوم السبت وكسر السد على العادة وجرى الماء إلي الخليج وعاد الباشا إلي القلعة.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين شهر رجب من عام١١٩٣هـ الموافق لثاني شهر مسرى القبطي وفا النيل المبارك ثم زاد في ليلتها زيادة كثيرة حتى علا على السد وجرى الماء في الخليج بنفسه وأصبح الناس فوجدوا الخليج جاريًا وفيه المراكب فلم تحصل الجمعية ولم ينزل الباشا على العادة.

وفي يوم الجمعة عاشر شعبان من عام ١١٩٤هـ الموافق لسابع مسرى القبطي أوفى النيل المبارك وكسر السد في صبحها يوم السب بحضرة إبراهيم بك قائمقام مصر والأمراء.

وفي يوم الأحد المبارك ليلة النصف من شعبان من عام ١١٩٥ هـ الموافق لأول مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك ونزل الباشا وكسروا السد بحضرته على العادة صبح يوم الاثنين.

مختارات من عجائب الآثار في التراجم والأخبار - وفاء النيل - أ.د عصام عيسوي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي هذه السنة (١١٩٦ هـ) قصر مد النيل وانهبط قبل الصليبية بسرعة فشرقت الأراضي القبلية والبحرية وعزت الغلال بسبب ذلك وبسبب نهب الأمراء وانقطاع الوارد من الجهة القبلية وشطح سعر القمح إلي عشرة ريالات الإردب واشتد جوع الفقراء.

ووصل مراد بك إلي بني سويف وأقام هناك وقطع الطريق على المسافرين ونهبوا كل ما مر بهم في المراكب الصاعدة والهابطة.

وانقضت هذه السنة (١١٩٨ هـ) كالتي قبلها في الشدة والغلاء وقصور النيل والفتن المستمرة وتواتر المصادرات والمظالم من الأمراء وانتشار أتباعهم في النواحي لجبي الأموال من القرى والبلدان وأحداث أنواع المظالم ويسمونها مال الجهات ودفع المظالم والفردة حتى اهلكوا الفلاحين وضاق ذرعهم واشتد كربهم وطفشوا من بلادهم فحولوا الطلب على الملتزمين وبعثوا لهم المعينين في بيوتهم فاحتاج مساتير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم بسبب ذلك مع ما هم فيه من المصادرات الخارجة عن ذلك وتتبع من يشم فيه رائحة الغنى فيؤخذ ويحبس ويكلف بطلب أضعاف ما يقدر عليه وتوالي طلب السلف من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة.

ولما تحقق التجار عدم الرد استعوضوا خسارا‌تهم من زيادة الأسعار ثم مدوا أيديهم إلي المواريث فإذا مات الميت أحاطوا بموجوده سواء كان له وارث أو لا.

وصار بيت المال من جملة المناصب التي يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعه في كل شهر ولا يعارض فيما يفعل في الجزئيات وأما الكليات فيختص بها الأمير.

فحل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلاء إلا من تداركه الله برحمته أو اختلس شيئًا من حقه فان اشتهروا عليه عوقب على استخراجه.

وفسدت النيات وتغيرت القلوب ونفرت الطباع وكثر الحسد والحقد في الناس لبعضهم البعض.

فيتتبع الشخص عورات أخيه ويدلي به إلي الظلمة حتى خرب الإقليم وانقطعت الطرق وعربدت أولاد الحرام وفقد الأمن ومنعت السبل إلا بالخفارة وركوب الغرر وجلت الفلاحون من بلادهم من الشراقي والظلم وانتشروا في المدينة بنسائهم وأولادهم يصيحون من الجوع ويأكلون ما يتساقط في الطرقات من قشور البطيخ وغيره فلا يجد الزبال شيئًا يكنسه من ذلك واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال فإذا خرج حمار ميت تزاحموا عليه وقطعوه وأخذوه ومنهم من يأكله نيئًا من شدة الجوع ومات الكثير من الفقراء بالجوع.

هذا والغلاء مستمر والأسعار في الشدة وعز الدرهم والدينار من أيدي الناس وقل التعامل الا فيما يؤكل وصار سمر الناس وحديثهم في المجال ذكر المأكل والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير ولولا لطف الله تعالي ومجيء الغلال من نواحي الشام والروم لهلكت أهل مصر من الجوع.

وبلغ الإردب من القمح الفًا وثلثمائة نصف فضة والفول والشعير قريبًا من ذلك وأما بقية الحبوب والابزار فقل أن توجد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واستمر ساحل الغلة خاليًا من الغلال بطول السنة والشون كذلك مقفولة وأرزاق الناس وعلائفهم مقطوعة وضاع الناس بين صلحهم وغبنهم وخروج طائفة ورجوع الأخرى ومن خرج إلي جهة قبض أموالها وغلالها.

وفي يوم الأحد ثامن شهر شوال من عام ١١٩٩هـ الموافق لتاسع مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك وكانت زيادته كلها في هذه التسعة أيام فقط ولم يزد قبل ذلك شيئًا واستمر بطول شهر أبيب وماؤه اخضر فلما كان أول شهر مسرى زاد في ليلة واحدة أكثر من ثلاثة اذرع واستمرت دفعات الزيادة حتى أوفى اذرع الوفاء يوم التاسع وفيه وقع جسر بحر أبي المنجا بالقليوبية فيعينوا له اميرًا فاخذ معه جملة أخشاب ونزل وصحبته ابن أبي الشوارب شيخ قليوب وجمعوا الفلاحين ودقوا له اوتادًا عظيمة وغرقوا به نحو خمسة مراكب واستمروا في معالجة سده مدة أيام فلم ينجع من ذلك شيء وكذلك وقع ببحر مويس.

وفي يوم الجمعة خامس ربيع الأول من عام ١٢١٣ هـ لثالث عشر مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك فأمر صاري عسكر بالاستعداد وتزيين العقبة كالعادة وكذلك زينوا عدة مراكب وغلايين ونادوا على الناس بالخروج إلي النزهة في النيل والمقياس والروضة على عادقم أرسل صاري عسكر أوراقا لكتخدا الباشا والقاضي وأرباب الديوان وأصحاب المشورة والمتولين للمناصب وغيرهم بالحضور في صحبها وركب صحبتهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره إلي قصر قنطرة السد وكسروا الجسر بحضرتهم وعملوا شنك مدافع ونفوطًا حتى جرى الماء في الخليج وركب وهم صحبته حتى رجع إلي داره وأما أهل البلد فلم يخرج منهم احد تلك الليلة للتتزه في المراكب على العادة سوى النصارى الشوام والقبط والأروام والإفرنج البلديين ونسائهم وقليل من الناس البطالين حضروا في صحبها.

وفي يوم الاثنين رابع عشرين ربيع الأول ١٢١٤ هـ الموافق التاسع مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك فنودي بوفائه على العادة وخرج النصارى من القبطة والشوام والأروام وتأهبوا للخلاعة والقصف والتفرج واللهو والطرب وذهبوا تلك الليلة إلي بولاق ومصر العتيقة والروضة واكتروا المراكب ونزلوا فيها وصحبتهم الآلات والمغاني وخرجوا في تلك الليلة عن طورهم ورفضوا الحشمة وسلكوا مسلك الأمراء سابقًا من التزول في المراكب الكثيرة المقاذيف وصحبتهم نساؤهم وقحابهم وشرابهم وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ومحاكاة المسلمين وبعضهم تزيا بزي أمراء مصر وليس سلاحًا وتشبه بهم وحاكى ألفاظهم على سبيل الاستهزاء والسخرية وغير ذلك وأجرى الفرنساوية المراكب المزينة وعليها البيارق وفيها أنواع الطبول والمزامير في البحر ووقع في تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصي والفسوق ما لا يكيف ولا يوصف وسلك بعض غوغاء العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة ورذالة الرقاعة بدون أن ينكر احد على احد من الحكام أو غيرهم بل كل إنسان يفعل ما تشتهيه نفسه وما يخطر بباله وان لم يكن من أمثاله. وأكثر الفرنسيس في تلك الليلة وصباحها من رمي المدافع والسواريخ من المراكب والسواحل وباتوا يضربون أنواع الطبول والمزامير وفي الصباح ركب دوجا قائمقام وصحبته أكابر الفرنسيس وأكابر أهل مصر وحضروا إلي قصر السد وجلسوا به واصطفت العساكر ببر الروضة وبر مصر القديمة بأسلحتهم وطبولهم وبعضهم في المراكب لضرب المدافع المتتالية إلي أن انكسر السد وجرى الماء في الخليج فانصرف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي سابع جمادي الأولي ١٢١٤هـ بعد عيد الصليب نقص ماء النيل وكان من أول زيادته قاصرًا عن العادة وزيادته شحيحة فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة وازدحموا في الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة في السعر فجمع الفرنساوية كل من كان له مدخل في تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم: هذه الغلة الموجودة الآن إنما هي زراعة العام الماضي وأما هذا العام فلا تخرج زراعته الا في العام المقبل فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر وقد كاد يقع الغلاء العظيم لولا الطاف الله ورحمته ونعمه العميمة الشاملة حصلت.

شهر جمادي الأولي من عام ١٢١٦ هـ ومنها زيادة النيل الزيادة المفرطة عن المعتاد وعن العام الماضي ايضًا حتى غطى الذراع زاده الفرنساوية على عامود المقياس فان الفرنساوية لما غيروا معالم المقياس رفعوا الخشبة المركبة على العامود وزادو فوق العامود قطعة رخام مربعة مهندمة وجعلوا ارتفاعها مقدار ذراع مقسوم بأربعة وعشرين قيراطًا وركبوا عليها الخشبة فسترها الماء ايضًا ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة وغرقت الروضة ولم يقع في هذا النيل حظوظ ولا نزهة للناس كعادتهم في البرك والخلجان والمراكب وذلك لاشتغال الناس بالهموم المتوالية وخصوصًا الخوف من أذى العسكر وانحراف طباعهم وأوضاعهم وعدم المراكب وتخريب الفرنسيس أماكن النزاهة وقطع الأشجار وتلف المقاصف التي كانت تجلس بها أولاد البلد مثل دهليز الملك والجسر والرصيف وغير ذلك مثل الكازروني والمغربي وناحية قنطرة السد وقصر العيني والقصور.

وفي ثامن عشرين ربيع الأول من عام ١٢٢٦ هـ الموافق لثالث مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك وركب محمد باشا المعروف بابي مرق المرشح لولاية مصر في صبحها إلي قنطرة السد وكسروا جسر الخليج بحضرته وفرق العوائد وخلع الخلع ونثر الذهب والفضة.

وكانت زيادة النيل الزيادة المفرطة التي لم يعد مثلها في هذه السنين حتى غرقت الأراضي وحوصرت البلاد وتعطلت الطرق فصارت الأرض كلها لجة ماء وغرق غالب البلاد التي على السواحل فتهدم من دورها شيء كثير وأما المدينة فإن الماء جرى من جهة الناصرية إلي الطريق المسلوكة وطفح من بركة الفيل إلي درب الشمسي وطريق قنطرة عمر شاه.

ومنها استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر وغلول البضائع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية والمغرب حتى غلت أسعار جميع الأصناف وانتهى سعر كل شيء إلي عشرة أمثاله وزيادة على ذلك فبلغ الرطل الصابون إلي ثمانين نصفًا واللوزة الواحدة بنصفين وقس على ذلك وأما الأشياء البلدية فإنها كثيرة موجودة وغالبها يباع رخيصًا مثل السمن والعسل النحل والأرز والغلال وخصوصًا الأرز فإنه بيع في أيامهم بخمسمائة نصف فضة الإردب وكانت النصارى باعة العسل النحل يطوفون به في بلاليص محملة على الحمير ينادون عليه في الأزقة بأرخص الأثمان.

ومنها وقوع الطاعون بمصر والشام وكان معظم عمله ببلاد الصعيد أخبرني صاحبنا العلامة الشيخ حسن المعروف بالعطار المصري نزيل أسيوط مكاتبة ونصه ونعرفكم يا سيدي أنه قد وقع في قطر الصعيد طاعون لم يعهد ولم تسمع بمثله وخصوصًا ما وقع منه بأسيوط وقد انتشر هذا البلاء في جميع البلاد شرقًا وغربًا وشاهدنا منه العجائب في أطواره وأحواله وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد وكان أكثره في الرجال سيما الشبان والعظماء وكل ذي منقبة وفضيلة وأغلقت الأسواق وعزت الأكفان وصار المعظم من الناس بين ميت ومشيع ومريض

مختارات من عجائب الآثار في التراجم والأخبار - وفاء النيل - أ.د. عصام عيسوي
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعائد حتى أن الإنسان لا يدري بموت صاحبه أو قريبه إلا بعد أيام ويتعطل الميت في بيته من أجل تجهيزه فلا يوجد النعش ولا المغسل ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة وأن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشي معه ما زاد على عشرة أنفار تكترى وماتت العلماء والقراء والملتزمون والرؤساء وأرباب الحرف ولقد مكثت شهرًا بدون حلق رأسي لعدم الحلاق وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان وأخذ في الزيادة في شهر ذي القعدة والحجة حتى بلغ النهاية القصوى فكان يموت كل يوم من أسيوط خاصة زيادة على الستمائة وصار الإنسان إذا خرج من بيته لا يرى إلا جنازة أو مريضًا أو مشتغلاً بتجهيز ميت ولا يسمع إلا نائحة أو باكية وتعطلت المساجد من الأذان والإمامة لموت أرباب الوظائف واشتغال من بقي منهم بالمشي أمام الجنائز والصبح والسهر وتعطيل الزرع من الحصاد ونشف على وجه الأرض وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس هذا مع سعي العرب في البلاد بالفساد والتخويف بسبب خلو البلاد من الناس والحكام إلي أن قال ولو شئت أن أشرح لك يا سيدي ما حصل من أمر الطاعون لملأت الصحف مع عدم الإيفاء وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة تاريخه.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الثاني من عام ١٢١٧هـــ الموافق لسادس مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك وكسر السد في صبحها يوم الخميس بحضرة الباشا والقاضي والشنك المعتاد وجرى الماء في الخليج ولم يطف مثل العادة ومنعوا دخول السفن والمراكب المعدة للنزهة وذلك بسبب أذية العساكر العثمانية.

وانقضت هذه السنة وما وقع بها من الحوادث الكلية التي ذكر بعضها وأما الجزئية فلا يمكن الإحاطة ببعضها فضلاً عن كلها لكثرتها واختلاف جهاتها واشتغال البال عن تتبع حقائقها ونسيان الغائب بالأشنع القبيح بالأقبح فمن الكلية التي عم الضرر بها زيادة المكوس أضعاف المعتاد في كل ثغر ذهابــًا وإيابــًا ومنها توالي الفرد والسلف والمظالم على أهل المدينة والأرياف وحق طرق المعينين وكلفهم الخارجة عن الحد والمعقول بأدنى شكوى ولو بالباطل فبمجرد ما يأتي الشاكي بعرضحال شكواه يكتب له ورقة ويعين بها عسكري أو اثنان أو أكثر بحسب اختيار الشاكي وطلبه للتشفي من خصمه فبمجرد وصوله إلي المشكي بصورة منكرة وسلاح كثير متقلد به فلا يكون له شغل إلا طلب خدمته ولا يسال عن الدعوى ولا عن صورتها ويطلب طلبًا خارجًا عن المعقول كألف قرش في دعوى عشرة قروش وخصوصًا اذا كانت الشكوى على فلاح في قرية فيحصل أشنع من ذلك من إقامتهم عندهم وطلبهم وتكليفهم الذبائح والفطور بما يشترطونه ويقترحونه عليهم وربما يذهب الشخص الذي يكون بينه وبين أخر عداوة قديمة أو مشاحنة أو دعوى قضى عليه فيها بحرق من زمان طويل فيقدم له عرضحال ويعين له مباشرًا بفرمان ويذهب هو فلا يظهر ويذهب المعين والمشكي في شغله والمشكي لا يرى الشامي ولا يدري من أين جاءته هذه المصيبة ويمكن انه من بعد خلاصه من أمر المباشر يحضر إلي بيت الباشا ويفحص عن خصمه ويعرفه فينهي دعواه ويظهر حجته بأنه على الحقث وان خصمه على الباطل فيقال له عين على خصمك أيضا فان أجاب إلي ذلك رسم له بفرمان ومعين أخر كذلك وإلا ترك أجره على الله ورجع فضاق ذرع الناس من هذه الحال وكرهوا هذه الأوضاع وربما قتل الفلاحون المعينين وهربوا من بلادهم وجلوا عن أوطانهم خوف الغائلة ولم يزل هذا دأبهم حتى نفرت منهم القلوب وكرهتهم النفوس وتمنوا لهم الغوائل وعصت اهل النواحي وعربدت العربان وقطعوا الطرق وعلموا خيانتهم فخانوهم ومكالبتهم فكالبوهم وانتمى عربان الجهة القبلية إلي الأمراء المصرلية وساعدوهم عليهم ولما إنحدر الأمراء إلي جهة بحري إنضمت إليهم جميع قبائل الجهة العربية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والهنادي وعرب البحيرة وخلافهم فلما وقعت الحروب بين الأمراء والعثمانيين وكانت الغلبة للأمراء والعربان زادت جسارتهم عليهم ورصدوا لهم الغوائل وقطعوا عليهم وعلى المسافرين الطرق بحرًا وبرًا فمن ظفروا به ومانعهم نهبوا متاعه وقتلوه وإلا سلبوه وتركوه فحش الأمر جدًا قبلي وبحري حتى وقف حال الناس ورضوا عن أحكام الفرنسيس ومنها أن الباشا لم قتل الوالي والمحتسب وعمل قائمة تسعيرة للمبيعات وان يكون الرطل اثنتي عشرة أوقية في جميع الأوزان وأبطلوا الرطل الزياتي الذي يوزن به السمن والجبن والعسل واللحم وغير ذلك وهو أربع عشرة أوقية لم ينفذ من تلك الأوامر شيء سوى نقص الأرطال ولم يزل ذو الفقار محتسبًا حتى رتب المقررات على المتسببين زيادة عن القانون الأصلي وجعل منها قسط الخزينة للباشا وللكتخدا وخلافهما ورجعت الأمور في الأسعار أقبح وأغلى مما كانت عليه في كل شيء واستمر الرطل اثنتي عشرة أوقية لا غير وكثر ورود الغلال أيام النيل ورخص سعرها والرغيف على مقدار رغيف الغلاء ومنها أن الفضة الأنصاف العددية صاروا يأخذونها من دار الضرب أول بأول ويرسلونها إلي الروم والشام زيادة الصرف ولا يتزل إلي الصيارف منها إلا القليل حتى شحت بأيدي الناس جدًا ووقف حالهم في شراء لوازم البيوت ومحقرات الأمور ويدور الاسانن بالريال أو المحبوب او المجر وهو في يده طول النهار فلا يجد مصارفته وأغلقت غالب الصيارف حوانيتهم بسبب ذلك وبسبب أذية العسكر فإنهم يأتون إليهم ويلزمونهم بالمصارفة فيقول له الصيرفي ليس عندي فضة فلا يقبل عذره ويفزع عليه بيطقانه او بارودته وان وجد عنده المصارفة وكان المحبوب أو البندقي ناقصًا في الوزن لا يستقيم في نقصه ولا يأخذ إلا صرفه كاملاً واذا اشترى شيئًا من سوقي أعطاه بندقيًا وطلب باقيه ولم يكن عند البائع باقية اخذ الذي اشتراه والبندقي وذهب ولا يقدر المسبب على استخلاص حقه منه وان وجد معه باقي الصارفة واخذ ذلك البندقي ونقد عند الصراف وكان ناقصًا وهو الغالب لا يقدر الصيرفي أن يذكر نقصه فان قال انه ينقص كذا فزع عليه وسبه وبعضهم ادخل إصبعه في ومنها شحة المراكب حتى أن المسافر يمكث الأيام الكثيرة ينتظر مركبًا فلا يجد وربما أخذوها بعد تمام وسقها فنكتوه وأخذوها وإن مرت على الأمراء المصرلية ومن أنضم إليهم تعرضوا لها ونهبوا ما بها من الشحنة واخذوا المركب واستمر هذا الحال على الدوام فكان ذلك من أعظم أسباب التعطيل ايضًا.

شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٨ استهل بيوم الجمعة في ثانيه الموافق لخامس عشر مسرى القبطي وفي النيل سبعة عشر ذراعًا وكسر سد الخليج صبحها بحضرة إبراهيم بك قائمقام والقاضي وجرى الماء في الخليج على العادة.

الجمعة عشرين جمادي الأولي من عام ١٢٢٠هـــ الموافق لحادي عشر مسرى أوفى النيل المبارك اذرعه ونودي بذلك وأشيع في ذلك اليوم وصول فرقة من الأمراء المصريين من خلف الجبل وبات الناس مستعدين للفرجة على موسم الخليج على العادة فأمر الباشا بإخراج الخيام والنظام إلي ناحية الجسر وعمل الحراقة ثم أمر بكسر السد ليلاً فما طلع النهار إلا والماء يجري في الخليج ولم يذهب الباشا ولا القاضي ولا احد من الناس ولم يشعروا بذلك وكان قد بلغه ورود الأمراء فتأخر عن الخروج وهم ظنوا خروجه مع العسكر إلي خارج المدينة وفي وقت الشروق من ذلك اليوم وصل طائفة من الأمراء إلي ناحية المذبح وكسروا بوابة الحسينية ودخلوا من باب الفتوح في كبكبة عظيمة وخلفهم نقاقير كثيرة وجمال وأحمال فشقوا من بين القصرين حتى وصلوا إلي الأشرفية وشخص لهم الناس وضجوا بالسلام عليهم وبقولهم نهار مبارك وسعيد والحمد لله على السلامة وشخص

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناس وبهتوا وتمنوا التخامين فلما وصلوا عطفة الخراطين افترقوا فرقتين فدخل عثمان بك وحسن وشاهين بك المرادي وأحمد كاشف سليم وعباس بك وغيرهم كشاف وأجناد ومماليك وعبيد كثيرة نحو الألف وخلف كل طائفة نقاقير وهجن وبأيديهم البنادق والسيوف والأسلحة ومروا بالجامع الأزهر وذهبوا إلي بيت السيد عمر والشيخ الشرقاوي فامتنع السيد عمر من مقابلتهم فدخلوا إلي بيت الشيخ الشرقاوي وحضر عندهم السيد عمر فطلبوا منهم النجدة وقيام الرعية فقالوا لهم هذا لا يصح ولم يكن بيننا وبينكم موعد ولا استعداد والأولى ذهابكم وإلا أحاطت بنا وبكم العساكر وقتلونا معكم فعند ذلك ركبوا وخرجوا من باب البرقية وبعد خروجهم حضر في أثرهم حسن بك الارنؤدي في عدة وافرة من العسكر وهم مشاة وخرج خلفهم فوجدهم خرجوا إلي الخلاء فرجع على أثره وأما الفرقة الأخرى فإنهم وصلوا إلي باب زويلة وتقدموا قليلاً إلي جهة الدرب الأحمر فضرب عليهم العسكر الساكنون هناك بالرصاص فرجعوا القهقرى إلي داخل باب زويلة وأرادوا الدخول إلي جامع المؤيد والكرنكة بتلك الناحية فضرب عليهم المغاربة والمرابطون هناك فأصيب منهم أشخاص وقوي جاش العسكر الذين جهة الدرب الأحمر لما سمعوا ضرب الرصاص وتنبه غيرهم واجتمعوا لمعاونتهم و أنصرع منهم ثلاثة أشخاص وقعوا إلي الأرض فلما عاينوا ذلك ولوا الأدبار وتبعهم العسكر يضربون في اقفيتهم فلم يزالوا في سيرهم إلي النحاسين وقد أغلق الناس بوابة الكعكيين وكذلك بوابة الخراطين وبوابة البندقانيين وكان جحو الساكن بالخرنفش عندما سمع بدخولهم لحقه الفزع والخوف فخرج من بيته بعسكره يريد الفرار وخرج من عطفة الخرنفش وذهب إلي جهة باب النصر لظنه انه لا يمكنه الخروج من باب الفتوح الذي دخلوا منه فلما وصل إلي باب النصر وجده مغلقًا وامتنع المرابطون عليه من فتحه فعاد على أثره وذهب إلي باب الفتوح فلم يجد به أحمد فاطمأن حينئذ وعلم سوء رأيهم فأغلقه واجلس عنده جماعة من أتباعه ورجع على أثره إلي جهة بين القصرين فصادف أدبار الجماعة والعسكر في اقفيتهم بالرصاص فعند ذلك قوي جأشه وضرب في وجوههم هو ومن معه من العسكر فاختبل القوم وسقط في أيديهم وعلموا انه قد أحيط بهم فنزلوا عن خيولهم ودخل منهم جماعة كثيرة جامع البرقوقية وذهب منهم طائفة كبيرة بخيولهم نحو المائة إلي جهة باب النصر فوجدوه مغلقًا فنزلوا ايضًا عن خيولهم ودخلوا العطوف ونطوا من السور إلي الخلاء وتفرق منهم جماعة اختفوا في الجهات وبعض الوكائل والبيوت ولما انحصر الذين دخلوا جامع البرقوقية وأغلقوا على أنفسهم الباب احتطت بهم العسكر واحرقوا الباب وتسور ايضًا عليهم جماعة من العطفة التي بظاهر البرقوقية وقبضوا عليهم وعروهم ثيابهم واخذوا ما معهم من الذهب والنقود والأسلحة المثمنة وذبحوا منهم نحو الخمسين مثل الأغنام وسحبوا نحو ذلك العدد بالحياة وهم عرايا مكشوفوا الرؤوس حفاة الأقدام موثوقو الأيدي يضربونهم ويصفعونهم على اقفيتهم ووجوههم ويسبونهم ويشتمونهم ويسحبونهم على وجوههم حتى ذهبوا بهم وبرؤوس القتلى إلي بيت الباشا بالأزبكية وكان قد استعد للفرار وتحير في أمره ونزل إلي أسفل يريد الركوب وإذا بالعسكر داخلون عليه ومعهم الرؤوس والأسرى في أيديهم فعند ذلك سكن جاشه وامتلأ فرحًا ولما مثل بين يديه أحمد بك تابع البرديسي الذي كان أميرًا بدمياط وحسن شبكة ومن معهما قال لأحمد بك يا أحمد بك وقعت في الشرك فطلب ماء فحلوا كتافه واتوا بماء يشرب فنظر لمن حوله وخطف يقطانًا من وسط بعض الواقفين وهاج فيهم وأراد قتل محمد علي باشا وقتل انفارًا فقام الباشا وهرب إلي فوق وتكاثروا عليه وقتلوه ووضعوا باقي الجماعة في جنازير وفي أرجلهم القيود وربطوهم بالحوش وهم على الحالة التي حضروا فيها من العري والحقارة والذلة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوم الأربعاء ثامن عشرين جمادي الأولي من عام ١٢٢١هـ الموافق لثامن مسرى القبطي أوفى النيل اذرعه وركب الباشا في صبيحة يوم الخميس إلي قنطرة السد وحضر القاضي والسيد عمر النقيب وكسر الجسر بحضرتهم وجرى الماء في الخليج جريانًا ضعيفًا بسبب علو أرضه وعدم تنظيفه من الأتربة المتراكمة فيه ويقال إنهم فتحوه قبل الوفاء لاشتغال بال الباشا وتطيره وخوفه من حادثة تحدث في مثل يوم هذا الجمع وخصوصًا وقد وصل إلي بر الجيزة الكثير من أجناد الألفي.

وفي يوم الجمعة سادس عشر جمادي الآخرة من عام ١٢٢٢هـ الموافق لسادس مسرى القبطي أوفي النيل اذرعه وذلك بعد أن حصل في الناس ضجر وقلق بسبب تأخر الوفاء عدة أيام حتى رفعوا الغلال من العرصات وزادت أثمانها فلما حصل الوفاء اطمأن الناس وتراجعت إليهم أنفسهم واظهروا الغلال في العرصات والرفع وركب كتخدا بك في صبح يوم السبت وكذلك القاضي وطوسون ابن الباشا والسيد عمر النقيب وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء في الخليج.

فلما كان يوم السبت سابع عشرين جمادى الآخرة من عام ١٢٢٣هـ وخامس عشر مسرى القبطي نقص النيل نحو خمسة أصابع وانكشف الحجر الراقد الذي عند فم الخليج تحت الحجر القائم فضج الناس ورفعوا الغلال من الرقع والعرصات والسواحل وانزعجت الخلائق بسبب شحة النيل في العام الماضي وهيفان الزرع وتنوع المظالم وخراب الريف وجلاء أهله واجتمع في ذلك اليوم المشايخ عند الباشا فقال لهم اعملوا استسقاء وأمروا الفقراء والضعفاء والأطفال بالخروج إلي الصحراء وادعوا الله فقال له الشيخ الشرقاوي ينبغي أن ترافقوا بالناس وترفعوا الظلم فقال أنا لست بظالم وحدي وانتم اظلم مني فاني رفعت عن حصتكم الفرض والمغارم إكرامًا لكم وانتم تأخذونها من الفلاحين وعندي دفتر محرر فيه ما تحت أيديكم من الحصص تبلغ ألفي كيس ولا بد اني افحص عن ذلك وكل من وجدته يأخذ الفرضة المرفوعة من فلاحيته ارفع الحصة عنه فقالوا له لك ذلك ثم اتفقوا على الخروج والتقيا في صبحها بجامع عمرو بن العاص لكونه محل الصحابة والسلف الصالح يصلون به صلاة الاستسقاء ويدعون الله ويستغفرونه ويتضرعون إليه في زيادة النيل وبالجملة ركب السيد عمر والمشايخ وأهل الأزهر وغيرهم والأطفال وأجتمع عالم كثير وذهبوا إلي الجامع المذكور بمصر القديمة فلما كان صبحها وتكامل الجمع صعد الشيخ جاد المولى على المنبر وخطب بعد ان صلى الاستسقاء ودعا الله وامن الناس على دعائه وحول ردائه ورجع الناس بعد صلاة الظهر وفي تلك الليلة رجع الماء إلي محل الزيادة الأولى واستتر الحجر الراقد بالماء.

وفي يوم الاثنين خرجوا ايضًا وأشار بعض الناس بإحضار النصارى ايضًا فحضروا وحضر المعلم غالي ومن يصحبه من الكتبة الأقباط وجلسوا في ناحية من المسجد يشربون الدخان وانفض الجمع ايضًا.

وفي تلك الليلة التي هي ليلة الثلاثاء زاد الماء ونودي بالوفاء وفرح الناس وطفق النصارى يقولون إن الزيادة لم تحصل إلا بخروجنا.

فلما كانت ليلة الأربعاء طاف المنادون بالرايات الحمر ونادوا بالوفاء وعمل الشنك والوقدة تلك الليلة على العادة.

مختارات من عجائب الآثار في التراجم والأخبار وفاء النيل أ.د. عصام عيسوي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي صبحها حضر الباشا والقاضي واجتمع الناس وكسروا السد وجرى الماء في الخليج جريانًا ضعيفًا لعلو ارض الخليج وعدم تنظيفه من الأتربة المتراكمة فيه من مدة سنين وكان ذلك يوم الأربعاء غرة شهر رجب وتاسع عشر مسرى القبطي.

وفي يوم الخميس ثامن عشرين جمادي الآخرة من **عام ١٢٢٤ هـ** الموافق لخامس مسرى القبطي أوفى النيل المبارك ونودي بالوفاء تلك الليلة وخرج الناس لأجل الفرجة والضيافات في الدور المطلة على الخليج فلما كان أخر النهار برزت الأوامر بتأخير الموسم لليلة السبت بالروضة فبرد طعام أهل الولائم والضيافات وتضاعفت كلفهم ومصاريفهم وحصلت الجمعية ليلة السبت بالروضة وعند قنطرة السد وعملوا الحراقات والشنك وحضر الباشا وأكابر دولته والقاضي وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء في الخليج وانفض الجمع.

وفي أواخر شهر رمضان حرروا دفتر الأطيان على ضريبة واحدة عن كل فدان خمسة ريالات غير البرانى والخدم ولم يحصل في ذلك مراجعة ولا كلام ولا مرافعة في شيء كما وقع في العام الماضي والذي قبله في المراجعة بحسب الري و الشراقي وأما في هذه السنة فليس فيها شراقي فحسابها بالمساحة الكاملة لعموم الري فان النيل في هذه السنة زاد زيادة مفرطة وعلا على الأعالي وتلف بزيادته المفرطة الدراوي والاقصاب بقبلي وكذلك غرق مزارع الأرز والسمسم والقطن وجنائن كثيرة بالبحر الشرقي بسبب انسداد الترعة الفرعونية بتلك الناحية ولما تمموا تحرير الدفاتر على النسق المطلوب والباشا بقبلي وأرسل بطلبها ليطلع عليها فسافر إليه بها المعلم غالي واخذ صحبته أحمد أفندي اليتيم من طرف الروزنامة وعبد الله بكتاش الترجمان فذهبوا إليه بأسيوط وأطلعوه عليها فختم عليها وانقضى شهر رمضان.

في شهر ربيع الأخر من **عام ١٢٢٥هـ** منتصف شهر بشنس القبطي زاد النيل زيادة ظاهرة أكثر من ذراع ونصف واستمر أياما ثم رجع إلي حاله الأول وهذا من جملة عجائب الوقت.

وفي يوم السبت عاشر جمادى الثانية من هذا العام الموافق لسادس مسرى القبطي أوفى النيل وحصلت الجمعية وحضر كتخدا بك والقاضي وباقي الأعيان وكسر السد بحضرتهم في صبحها يوم الأحد وجرى الماء في الخليج.

وفي شهر شعبان من ذلك **العام (١٢٢٥هـ)** اختل سد ترعة الفرعونية وانفتح منه شرم واندفع فيه الماء فضج الناس وتعين لسدها ديوان أفندي وأخذ معه مراكب وأحجارًا وأخشابًا وغاب يومين ثم رجع واتسع الخرق واستمر عمر بك تابع الأشقر مقيمًا عليها لخفرتها وليمنع مرور المراكب ويقوي ردمها لئلا تنحرها المياه فيزداد اتساع الخرق.

وفي هذه الأيام توقفت زيادة النيل فكان يزيد من بعد الوفاء قليلا ثم ينقص قليلا ثم يرجع النقص وهكذا فأشار بالاجتماع بالاستسقاء بالأزهر فتجمع القليل ثم تفرقوا وذلك يوم الثلاثاء رابعه وخرج النصارى الأقباط يستسقون أيضًا واجتمعوا بالروضة وصحبتهم القساوقسة والرهبان وهم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير في تجمل زائد وصحبتهم طائفة من أتباع الباشا بالعصي المفضضة وعملوا في ذلك اليوم سيانة وحانات وقهوات وأسمطة وسكردانات عند جميز العبد ويقولون أن النيل لما توقفت زيادته في العام الذي قبل العام الماضي وخرج الناس يستسقون بجامع عمرو وخرج النصارى في ثاني يوم فزاد النيل تلك الليلة وذلك لا أصل له على أنه لا استغراب للزيادة في أوانها وهذه الأيام أيضًا أواخر مسرى وأيام النسيء وفيها قوه الزيادة وأيام النورزز.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي خامس عشرينه زاد النيل ورجع ما كان انتقصه وزاد على ذلك نحو قيراطين وثبت إلي أواخر توت واطمأن الناس.

في ثاني عشرين جمادى الآخرة من عام ١٢٢٦هـ يوم الاثنين الموافق لسابع مسرى القبطي أوفى النيل اذرعه وكسر السد في صبحها يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والباشا غائب بالسويس. ومنها أن النيل هبط قبل الصليب بأيام قليلة بعد أن بلغ في الزيادة مبلغًا عظيمًا حتى غرق الزرع الصيفي والدراوي ولما انحسر عن الأرض زرعوا البرسيم والوقت صائف والحرارة مستجنة في الأرض فتولدت فيه الدودة وأكلت الذي زرع فبذروه ثانية فأكلته أيضا وفحش أمر الدودة جدًا في الزرع البدري وخصوصًا بإقليم الجيزة والقليوبية والمنوفية بل وباقي الأقاليم.

واستهل شهر شعبان بيوم الأحد سنة ١٢٢٧ في رابعه يوم الأربعاء الموافق لسابع مسرى القبطي أوفي النيل المبارك أدرعه ونزل الباشا في صبح يوم الخميس في جم غفير وعدة وافرة من العساكر وكسر السد بحضرته وحضرة القاضي وجرى الماء في الخليج ومنع المراكب من دخولها الخليج.

وفي عام ١٢٢٧هـ أيضاً وهي من الحوادث الغريبة التي لم يتفق في هذه الإعصار مثلها أن في أواخر ربيع الأخر احترق بحر النيل وجف بحر بولاق وكثرت فيه الرمال وعلت فوق بعضها حتى صارت مثل التلول وانحسر الماء حتى كان الناس يمشون إلي قريب انبابة بمداساتها وكذلك بحر مصر القديمة بقي مخاضًا وفقدت أهل القاهرة الماء الحلو واشتد بالناس العطش بسبب ذلك وبسبب تسخير السقائين ونادي الأغا والوالي على ان يكون حمل القربة للمكان البعيد باثني عشر نصف فضة استهل شهر بشنس القبطي فزد النيل في أوله في ليلة واحدة نحو ذراع ثم كان يزيد في كل يوم وليلة مثل دفعات أواخر أبيب ومسرى وجرى بحر بولاق ومصر القديمة وغطى الرمال وسارت فيه المراكب الكبار منحدرة ومقلعة وغرقت المقاثي مثل البطيخ والخيار والعبد اللاوي وما كان مزروعًا بالسواحل وهو شيء كثير جدًا استمرت الزيادة نحو عشرين يومًا حتى تغير وابيض وكاد يحمر وداخل الناس من ذلك وهم عظيم من هذه الزيادة التي في غير وقتها حتى اعتقدوا انه يوفي اذرع الوفاء قبل نزول النقطة ولم يعهد مثل ذلك وكان ذلك رحمة من الله بعبيده الفقراء العطاش ثم اني طالعت في تاريخ الحافظ المقريزي المسمى بالسلوك في دول الملوك فذكر مثل هذه النادرة في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ولما ترافدت هذه الزيادات خرج الوالي إلي قنطرة السد وجمع الفعلة للعمل في سد فم الخليج ونادى على نزح الخليج وتنظيفه وكسح أوساخه وقطع أرضه ثم وقفت الزيادة بل نقص قليلاً وزاد في أوان الزيادة على العادة وأوفي اذرعه في أيامه المعتادة ومنها شحة الغلال وخلو السواحل منها فلا يجد الناس الا ما بقي بأيدي فلاحي الجهات البحرية القريبة فيحملونه على الحمير إلي العرصات والرقع ويبيعونه على الناس كل إردب بأربعة وعشرين قرشًا خلاف المكس والكلف واستقر مكس الإردب الواحد أربعة وثلاثين نصف فضة وأجرته إذا كان من طريق البحر من المنوفية أو نحوها مائة نصف واقل وأكثر وأجرته من بولاق إلي مصر خمسة وعشرون نصفًا.

وفي يوم الخميس رابع عشرين شعبان من عام ١٢٢٩هـ الموافق لسادس شهر مسرى القبطي أوفي النيل المبارك اذرعه فداروا بالرايات ونودي بالوفاء وكسروا السد في صبح يوم الجمعة بحضرة كتخدا بك والقاضي والجم الغفير من العساكر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي يوم السبت تاسع عشرين شعبان من عام ١٢٣٠ هـ الموافق لأخر يوم من شهر أبيب القبطي أوفى النيل المبارك اذرعه وكان ذلك اليوم ايضًا ليلة رؤية هلال رمضان فصادف حصول الموسمين في ان واحد فلم يعمل فيها موسم ولا شنك على العادة ولم يركب المحتسب ولا أرباب الحرف بموكبهم وطبولهم وزمورهم وكذلك شنك قطع الخليج وما كان يعمل في ليلته من المهرجان في النيل وسواحله وعند السد وكذلك في صبحه وفي البيوت المطلة على الخليج فبطل ذلك جليعه ولم يشعر بهما احد وصام الناس باجتهادهم وكان وفاء النيل في هذه السنة من النوادر فان النيل لم تحصل فيه الزيادة بطول الأيام التي مضت من شهر أبيب إلا شيئًا يسيرًا حتى حصل في الناس وهم زائد وغلا سعر الغلة ورفعوها من السواحل والعرصات فأفاض المولى في النيل واندفعت فيه الزيادة العظيمة وفي ليلتين أوفى اذرعه قبل مظنته فان الوفاء لا يقع في الغالب إلا في شهر مسرى ولم يحصل في أواخر أبيب إلا في النادر واني لم أدركه في سنين عمري أو في أبيب إلا مرة واحدة وذلك في سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف فتكون المدة بين تلك وهذه المدة سبعًا وأربعين وفيه أرسل الباشا بطلب السيد محمد المحروقي فطلع إليه وصحبته عدة كبيرة من عسكر المغاربة لخفرته فلما واجهه قال له هذا الذي حصل للناس من نهب أموالهم في صحائفي والقصد أنكم تتقدمون لأرباب المنهوبات وتجمعوهم بديوان خاص طائفة بعد أخرى وتكتبون قوائم لكل طائفة بما ضاع لها على وجه التحرير والصحة وأنا أقوم لهم بدفعه بالغًا ما بلغ فشكر له ودعا له ونزل إلي داره وعرف الناس بذلك وشاع بينهم فحصل لأربابه بعض الاطمئنان وطلع إلي الباشا كبار العسكر مثل عابدين بك ودبوس أوغلي وحجو بك ومحو بك واعتذروا وتنصلوا وذكروا واقروا ان هذا الواقع اشتركت فيه طوائف العسكر وفيهم من طوائفهم وعساكرهم ولا يخفاه خبث طباعهم فتقدم إليهم بان يتفقدوا بالفحص وإحصاء ما حازه وأخذه كل من طوائفهم وعساكرهم وشدد عليهم في الأمر بذلك فأجابوه بالسمع والطاعة وامتثلوا لأمره واخذوا في جمع ما يمكنهم وإرساله إلي القلعة وركبوا وشقوا بشوارع المدينة وأمامهم المناداة بالأمان واحضر الباشا المعمار وأمره بجمع النجارين والمعمرين وأشغالهم في تعمير ما تكسر من أخشاب الدكاكين والأسواق ويدفع لهم أجرتهم وكذلك الأخشاب على طرف الميري.

وفي منتصف شعبان من عام ١٢٣١هـ يوم الجمعة الموافق ا لرابع من شهر مسرى القبطي أوفى النيل اذرعه وفتح سد الخليج يوم السبت.

في شهر شعبان من عام ١٢٣٣هـ وفي أثناء ذلك زاد النيل قبل المناداة عليه بالزيادة وذلك في منتصف بؤنه القبطي وغرق المقاثيء من البطيخ والخيار والعبدلاوي وأهمل أمر الحفر في الترعة المذكورة إلي ما بعد النيل واستردت الدراهم التي أعطيت للفلاحين لأجل الترحيلة وفرحوا بذلك الإهمال وقد كان أطلق الباشا لمصارفها أربعة ألاف كيس من تحت الحساب ورجع المهندسون إلي مصر وقد صوروا صورتها في كواغد ليطلع عليها الباشا عيانًا وكان رجوعهم في ثامن عشر شعبان.

ومنها زيادة النيل في هذا العام (١٢٣٣هـ) الزيادة المفرطة التي لم نسمع ولم نر مثلها حتى غرقت الزروع الصيفية مثل الذرة والنيلة والسمسم والقصب والأرز وأكثر الجنائن بحيث صار البحر وسواحله والملق لجة ماء والهدم بسببه قرى كثيرة وغرق الكثير من الناس والحيوان حتى كان الماء ينبع بين الناس من وسط الدور واختلط بحر الجيزة ببحر مصر العتيقة حتى كانت المراكب تمشي فوق جزيرة الروضة وكثر عويل الفلاحين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مختارات من عجائب الآثار في التراجم والأخبار - وفاء النيل - أ.د عصام عيسوي

وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع وخصوصًا الذرة الذي هو معظم قوتهم وكثير من أهل البلاد ندبوا بالدفوف.

وفي شهر شعبان من عام ١٢٣٣هـ في اليوم الموافق لثامن عشرة شهر أبيب القبطي أوفى النيل اذرعه فاخروا فتح سد الخليج ثلاثة أيام العيد ونودي بالوفاء يوم الأربعاء وحصل الجمع يوم الخميس رابعه وحضر فتح الخليج كتخدا بك والقاضي ومن له عادة بالحضور فكان جمعًا وازدحامًا عظيمًا من أخلاط العالم في جهة السد والروضة تلك الليلة واشتعلت النار في الحريقة واحترق فيها أشخاص ومات بعضهم.

ومنها أن الباشا زاد في هذه السنة الخراج وجعل على كل فدان ستة قروش وسبعة وثمانية وذكر أنها مساعدة على حروب الحجاز والخوارج فدهي الفلاحون بهاتين الداهيتين وهي زيادة النيل وزيادة الخراج في غير وقت وأوان فإن من عادة الفلاحين وأهل القرى إذا انقضت أيام الحصاد والدراوي وشطبوا ما عليهم من مال الخراج لملتزميهم ويكون ذلك مبادي زيادة النيل وارتفع عنهم الطلب وارتحلت كشاف النواحي وقائمقام الملتزمين والصيارف والعيون وخلت النواحي منهم فعند ذلك ترتاح نفوسهم وتجتمع حواسهم ويعملون أعراسهم ويجدون ملبوسهم ويزوجون بناتهم ويختنون صبيانهم ويشيدون بنيانهم ويصلحون جسورهم وحبوسهم فإذا أخذ النيل في الزيادة شرعوا في زراعة الصيفي الذي هو معظم قوتهم وكسبهم حتى إذا انحسر الماء وانكشفت الأراضي وآن أوان التحضير وزراعة الشتوي من البرسيم والغلة وجدوا ما يسدون به مال التجهية وما يرقعون به أحوالهم من بهائم الحرث ومحاريث وتقاوي وأجر عمال ونحو ذلك فدهموا هذه السنة بهاتين الآفتين الأرضية والسماوية ورحل الكثير عن أهله ووطنه وكان ابتداء طلب هذه الزياجة قبل زيادة النيل ومجيء خبر النصرة فلما ورد خبر النصرة لم يرتفع ذلك.

واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٣٤ وفي رابع عشره الموافق لأخر يوم من شهر أبيب نودي بوفاء النيل وكان الباشا سافر إلي جهة الإسكندرية بسبب ترعة الأشرفية وأمر حكام الجهات بالأرياف بجمع الفلاحين للعمل فاخذوا في جمعهم فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم المراكب وتعطلوا عن زرع الدراوي الذي هو قوتهم وقاسوا شدة بعد رجوعهم من المرة الأولى بعد ما قاسوا ما قاسوه ومات الكثير منهم من البرد والتعب وكل من سقط اهالوا عليه من تراب الحفر ولو فيه الروح ولما رجعوا إلي بلادهم للحصيدة طولبوا بالمال وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول واخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر فما هم إلا والطلب للعود إلي الشغل في الترعة ونزح المياه التي لا ينقطع نبعها من الأرض وهي في غاية الملوحة والمرة الأولى كانت في شدة البرد وهذه المرة في شدة لحر وقلة المياه العذبة فينقلونها بالروايا على الجمال مع بعد المسافة وفي سابع عشرينه ارتحل ركب الحجاج من البركة وأمير الحاج عابدين بك أخو حسن باشا.

واستهل شهر ذي القعدة سنة ١٢٣٤ والعمل في الترعة مستمر. وانقضت السنة وما تجدد بها من الحوادث التي منها زيادة النيل الزيادة المفرطة أكثر من العام الماضي وهذا من النوادر وهو الغرق في عامين متتابعين واستمر ايضًا في هذه السنة إلي منتصف هاتور حتى فات أوان الزراعة وربما نقص قليلاً ثم يرجع في ثاني يوم أكثر ما نقص.

مختارات من عجائب الآثار في التراجم والأخبار وفاء النيل أ.د. عصام عيسوي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن حوادث عام ١٢٣٥هـ زيادة النيل الزيادة المفرطة وخصوصًا بعد الصليب وقد كان حصل الاعتناء الزائد بامر الجسور بسبب ما حصل في العامين السابقين من التلف فلما حصلت هذه الزيادة بعد الصليب وطف الماء على أعلى الجسور وغرق مزارع الذرة والنيلة والقصب والأرز والقطن وأشجار البساتين وغالب أشجار الليمون والبرتقال بما عليها من الثمار وصار الماء ينبع من الأرض الممنوعة نبعًا ولا عاصم من أمر الله وطال مكث الماء على الأرض حتى فات أوان الزراعة ولم نسمع ولم نر في خوالي السنين تتابع الغرقات بل كان الغرق نادر الحصول وعلا ماء الخليج حتى سد غالب فرجات القناطر ونبع الماء من الأراضي الواطية القريبة من الخليج مثل غيط العدة وجامع الأمير حسين ونحو ذلك.

ومنها أن ترعة الإسكندرية المحدثة لما تم حفرها وسموها بالمحمودية على اسم السلطان محمود فتحوا لها شرمًا دون فمها المعد لذلك وامتلأت بالماء فلما بدأت الزيادة فزادت وطف الماء في المواضع الوطية وغرقت الأراضي فسدوا ذلك الشرم وابقوا من داخله فيها عدة مراكب للمسافرين فكانوا ينقلون منها إلي مراكب البحر ومن البحر إلي مراكبها وبقي ماؤها مالحًا متغيرًا ومنها انه لما وقع القياس في أراضي القرى قرروا مسموحًا لمشايخ البلاد في نظير مضايقهم خمسة أفدنة من كل مائة فدان وفي هذا العام يدفع مال المسموح سنتين وذلك عقب مطالبتهم بالخراج قبل أوانه وما صدقوا أنهم غلقوه ببيع غلالهم بالنسيئة والاستدانة وبيع المواشي والأمتعة ومصاغ النساء وكانوا ايضًا طولبوا في السنين الخوالي التي كانوا عجزوا عنها ولم يزك رمي الغلال في هذه السنة وكذلك الفول وثمر النخيل والفواكه ولما طولب مشايخ البلاد بمال المسموح ازداد كربهم فانه ربما يجيء على الواحد ألف ريال واقل وأكثر وقد قاسوا الشدائد في غلاق الخراج الخارج عن الحد وعدم زكاء الزرع وغرق مزارع النيلة والأرز والقطن والقصب والكتان وغير ذلك.

وفي أثر ذلك فرضوا على الجواميس كل رأس عشرون قرشًا وعلى الجمل ستون قرشًا وعلى الشاة قرش والرأس من المعز سبعة وعشرون نصفًا وثلث البقرة خمسة عشر والفرس كذلك.

ومنها احتكار الصابون ويحجز جميع الوارد على ذمة الباشا ثم سومح تجاره بشرط أن يكون جميع صابون الباشا ومرتباته ودائرته من غير ثمن وهو شيء كثير ويستقر ثمنه على ستين نصفًا بعد أن كان بخمسين جردًا من غير نقو.ومنها ما احدث على البلح بأنواعه وما يجلب من الصعيد والأبريمي وأنواع العجوة حتى جريد النخل والليف والخوص يؤخذ جميع ذلك بالثمن القليل ويباع ذلك للمتسببين بالثمن الزائد وعلى الناس بأزيد من ذلك وفي هذه السنة لم تثمر النخيل إلا القليل جدًا ولم يظهر البلح الأحمر في أيام وفرته ولم يوجد بالأسواق إلا أياما قليلة وهو شيء رديء وبسر ليس بجيد ورطله بخمسة أنصاف وهي ثمن العشرة أرطال في السابق وكذلك العنب لم يظهر منه الا القليل وهو الفيومي والشرقاوي وقد التزم به من يعصره شرابًا باكياس كثيرة مثل غيره من الأصناف وغير ذلك جزئيات لم يصل الينا علمها ومنها ما وصل إلينا علمها واهملنا ذكرها.

وانقضت سنة ١٢٣٦هـ وما تجدد بها من الحوادث وأنقضى بعضها والبعض باق إلي الأن. فمنها توقف زيادة النيل وذلك انه لم يستتم اذرع الوفاء إلي ثامن عشر مسرى القبطي حتى ضجر الناس وضج الفلاحون. ومنها امر المعاملة التي زادت زيادة فاحشة حتى بلغ البندقي الفًا ومائتي نصف والجر والفندقلي عشرين قرشًا عنها ثمانمائة نصف وبلغ صرف الريال الفرانسة اربعة عشر قرشًا عنها خمسمائة نصف وستون نصفًا وقس على

مختارات من عجائب الآثار في التراجم والأخبار - وفاء النيل - أ.د. عصام عيسوي
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك باقي الأصناف. ومنها غلو الأثمان في جميع المبيعات من ملبوسات ومأكولات والغلال حتى وصل الإردب إلي ألف وخمسمائة نصف والرطل السمن إلي خمسين نصفًا وإلي ستين نصفًا وقس على ذلك.

مختارات من عجائب الآثار في التراجم والأخبار - وفاء النيل أ.د. عصام عيسوي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com